

## السلامة المهنية في مصادر التشريع الإسلامي

Occupational safety in Islamic legislative sources

أ.د. محمد حسين علي السويطي

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة واسط/ محافظة واسط/ العراق

### الخلاصة باللغة العربية

كان العمل وما زال ميزان تقدم الأمة، والمهارة في إتقانه مقياس الحضارة، والوفاء به هو الهدف الذي يسعى إليه الإصلاح الاجتماعي، وقد اهتم الإسلام بذلك، إذ ورد ذكر العمل أو المهنة في القرآن الكريم أكثر من (100) آية مباركة، ودعا إلى جعل الإنتاج عبادة وتقرباً إلى الله تبارك وتعالى، وعد الرسول الكريم ﷺ العمل خيراً الكسب، وارتقى به □ إلى مستوى الجهاد في سبيل الله، وتطرق إلى جوانب دقيقة في هذا المجال، كالسلامة المهنية، التي تعني الحفاظ على صحة العامل أو الموظف وسلامته عن طريق توفير الحماية المهنية له، وهو أمر حضاري سبق به الإسلام الدول المتقدمة.

### Abstract

Work was and still is the measure of the nation's progress, and skill in mastering it is the measure of civilization, and fulfilling it is the goal that social reform seeks. Islam has paid attention to that, as work or profession is mentioned in more than (100) blessed verses in the Holy Qur'an, and it called for making production Worshiping and drawing closer to God, Blessed and Most High, the Noble Messenger, may God bless him and grant him peace, promised work is the best earner, and he raised it to the level of jihad for the sake of God, and touched upon precise aspects in this field, such as occupational safety, which means preserving the health and safety of the worker or employee by providing occupational protection. This is a c

الكلمات المفتاحية: السلامة - المهنة - مصادر التشريع الإسلامي

Keywords: safety - profession - sources of Islamic legislation

كان العمل وما زال ميزان تقدم الأمة، والمهارة في إتقانه مقياس الحضارة، والوفاء به هو الهدف الذي يسعى إليه الإصلاح الاجتماعي، وقد تعرض القرآن الكريم وهو دستور المسلمين الأول إلى المهنة والعمل بأكثر من (100) آية مباركة، ومنها: قوله تعالى: **قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ**، وقد دعا الإسلام إلى العمل وجعل الإنتاج عبادة وتقرباً إلى الله تبارك وتعالى: **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**، وعد الرسول الكريم ﷺ العمل خير الكسب "ما أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ"، وارتقى به إلى مستوى الجهاد في سبيل الله "إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان".

والسلامة المهنية هي مجالٌ يعنى بالحفاظ على صحة العامل أو الموظف وسلامته، عن طريق توفير الحماية المهنية له والحد من خطر المعدات والآلات والمواد المستعملة ونواتجها وخطر مكان العمل على العمال، ومحاولة منع وقوع الحوادث وأمراض المهنة أو التقليل من حدوثها، وتوفير الجو المهني السليم الذي يساعد العمال على العمل بأمان.

قال تعالى: **{وَلَا تُقْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}**، وهو تحذير للمؤمنين بتوخي الحذر في العمل، واحتراز مخاطره، لأن العمل دون إجراءات السلامة يعني الإلقاء بالتهلكة، أو هو كمن يشرع بالانتحار، **{وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ}**، وهي دعوة شاملة إلى السلامة الكاملة وتوخي كل مكروه والعمل بدون مخاطر، وبخصوص الوقاية من الضوضاء المميتة، قال تعالى: **{أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ}**، وهي دعوة

إلى توخي خطر الضوضاء العالية التي قد تقود إلى الموت، والوقاية هنا باستعمال الأصابع في سد الأذن .

وقد أرشدنا الله تبارك وتعالى إلى كيفية حماية البيوت من التلوث الضوضائي والأصوات الخارجية العالية، وجعل المناداة على أهل البيت من الخارج بصوت مرتفع أو بآلات تنبيه السيارات وغير ذلك، عمل مزعج، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ \* وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، كما أرشدنا عز وجل إلى كيفية الوقاية من الحرارة، التي قد تؤدي إلى الهلاك، {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا، وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ، وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ، كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ}، وهي دعوة صريحة إلى الوقاية الشخصية ضد الحرارة، وحماية الجلد من تأثيرات الأشعة فوق البنفسجية الضارة، وأشارت إلى الالتزام بارتداء أية مهمات أو ملابس من شأنها الحماية من الإصابات الناجمة عن الحرارة الشديدة.

ان قضية الضوء لها نتيجة سلبية كبيرة على صحة عيون العاملين، قال تعالى: {يَكَادُ الْبَرْقُ يُخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ}، وهي دعوة إلى الوقاية الشخصية ضد الضوء الشديد، إذ بينت الآية خطر الضوء المبهر الصادر من البرق على العين، وهو أمر ينسحب إلى الضوء الصادر من أعمال اللحام، الذي يضر كثيراً بالعين إذا لم تستخدم نظارات اللحام الواقية.

ومن وجوه الصحة المهنية الايجابية الأخرى التي أسس لها الإسلام، التأكيد على العمل الصالح، وضرورة إتقانه على الصعيدين الفني والعملي، كما قال الرسول الكريم ﷺ: "إن الله عز وجل يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"، فضلاً عن عدم الغش فيه، لأن ذلك يلحق ضرراً بالفرد والمجتمع، ثم إنجازه في موعده المحدد، وأن لا يخادع به ولا يكذب ولا يقسم الأيمان الكاذبة لأجله، تمثل ذلك بقول الرسول الكريم ﷺ: "الْحَلْفُ مُنْقَضَةٌ لِلْسُلْعَةِ مُنْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ".

وكانت السنة النبوية تطبيقاً عملياً للصحة المهنية الايجابية، إذ عمل ﷺ في شبابه راعياً للغنم، وبيّن أن كلّ الأنبياء (عليهم السلام) قد رعوا الغنم، وعمل لخديجة ﷺ قبل نبوته في التجارة، فنجحت تجارتها وبورك فيها، وجاء في رواية إنها عرضت نفسها عليه وقالت: يا ابن العم، إني قد رغبت فيك لقربتك وهيبتك في قومك، وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك.

لقد نهى النبي ﷺ عن تَكْلِيفِ العامل فوق طاقته، فلا يُطْلَبُ منه ما يَعْجزُ عنه أو يُتْعَبُهُ، فقد ورد عنه ﷺ انه قال: "لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ وَكِسْوَتُهُ، وَلَا يُكْلَفُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا يُطِيقُ"، وامتدت رعاية الرسول واهتمامه إلى البهائم التي يستعملها العامل في نقل بضاعته أو عمل آخر، فقد نهى ﷺ أن تُكَلَّفَ البهائم والدواب فوق طاقتها، دل على ذلك قوله: "أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُبَلِّغُكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ وَجَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَعَلَيْهَا فَأَقْضُوا حَاجَتَكُمْ"، ومعنى ذلك عدم الجلوس على ظهور الدواب أثناء الحديث عن البيع والشراء وغير ذلك، لأن ذلك يؤذيها ويرهقها ويقلل من إنتاجها وفائدتها، وإذا كان إرهاق الدواب وتحميلها فوق طاقتها منهياً عنه في السنة، فإن فعل مثل ذلك بالبشر حرام بلا شك.

وكانت للخليفة عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ جهوداً قيمة تذكر في هذا المجال، فقد روي عنه انه قال: "أني لأرى الرجل فيعجبني فأقول: هل له حرفة؟ فإن قالوا: لا سقط من عيني"، ومعنى ذلك ان قيمة الإنسان عنده تكمن بصنعتة وحرفته التي بها يخدم أبناء جلدته ويطور نفسه. كما روي انه مرَّ بِحِمَارٍ عَلَيْهِ لَبِنٌ

فَوَضَعَ عَنْهُ طُوبَتَيْنِ، فَأَتَتْ سَيِّدَتُهُ فَقَالَتْ: يَا عُمَرُ، مَا لَكَ لِحِمَارِي، أَلَيْكَ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ؟ قَالَ: فَمَا يُقْعِدُنِي فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؟، وهو في ذلك يوجه رسالة إلى أبناء جلدته مفادها: أنه المسؤول عن حمايتهم وسلامتهم، مستنداً إلى قول رسول الله ﷺ "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"، لذلك كان يوصي عماله دائماً بما مَعْنَاهُ: لَوْ مَاتَ جَمَلٌ بِشَطِّ الْفُرَاتِ لَخَشِيتُ أَنْ يَسْأَلَنِي اللَّهُ عَنْهُ، وهو يعلن مسؤوليته الكاملة عن توفير وسائل الأمان والسلامة لأفراد مجتمعه كافة.

أما بخصوص الوقاية من الحوادث، فمن الأمور المعروفة أن إصابات الحوادث بأنواعها من الأسباب الرئيسة للإعاقة في المجتمعات الإنسانية عبر تاريخها الطويل، وقد حظي هذا الموضوع بأهمية كبيرة في السنة النبوية الشريفة، فقد صاغ الرسول الكريم ﷺ القواعد الأساسية للوقاية من الحوادث في المجتمع، المستندة إلى فكرة أن الحوادث لا تقع □ مجرد قضاء وقدر بل هي نتائج لأسباب يمكن تلافيها.

لقد طالب رسول الله ﷺ المسلمين بشكل خاص والناس بشكل عام أن لا يكونوا □ مصدر ضرر للآخرين، وأن يتخذوا موقفاً في إزالة الأسباب التي قد ينتج □ عنها الضرر، وعد ذلك من مكملات الإيمان وشعبه الرئيسة، قال ﷺ: "إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ"، وفي موضع آخر قال رسول الله ﷺ "تَعْدُلُ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَثَمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ"، وسأل رجل يوماً الرسول ﷺ أن يعلمه شيئاً ينتفع به في الدنيا والآخرة، فقال له ﷺ: "اغْرِزْ الْأَذَى عَنِ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ".

لقد تطرق الرسول الكريم ﷺ إلى جوانب أخرى في الحياة وجب فيها اتخاذ الحذر للسلامة من الحوادث التي تسبب الإعاقة والضرر بالصحة العامة، قال ﷺ: "إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْجِدِنَا أَوْ فِي سُوقِنَا

وَمَعَهُ نَبَلٌ فَلْيُؤْمِسْكَ عَلَى نِصَالِهَا أَوْ قَالَ فَلْيَقْبِضْ بِكَفِّهِ أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا بَشْيءٌ"، كما أوصى ﷺ بجملة من التدابير ندب كل أفراد المجتمع إلى فعلها قبل رقادهم إلى النوم، حماية وصيانة للمجتمع من التعرض إلى أخطار النار المحتملة التي قد تؤدي إلى التهلكة، فقد روي أن بيتاً في المدينة احترق على أهله ليلاً، فذهب ﷺ وأطمأن على ساكنيه وقال: "إن هذه النار عدو لكم فإذا نمت فأطفئوها عنكم"، وفي موضع آخر قال ﷺ: "أَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ إِذَا رَقَدْتُمْ وَعَلِّقُوا الْأَبْوَابَ وَأَوْكُوا الْأَسْقِيَةَ وَخَمِّرُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ"، كما قال ﷺ: "لَا تَتْرُكُوا النَّارَ فِي بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُونَ".

وامتدت نصائح الرسول الكريم ﷺ في وقاية الفرد والمجتمع من الحوادث المختلفة إلى أدق الأمور في الحياة، ومنها: نهيه ﷺ عن عدم نوم الإنسان على سطح غير محاط بحاجز أو جدار، فقال ﷺ: "من بَاتَ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ لَيْسَ لَهُ حِجَارٌ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ"، وهو نهى شرعي حتى لا يطل على حرمت الآخرين فضلاً عن كونه حفاظاً على سلامة النائم من السقوط والهلاك فيما لو قام من نومه وسار والنوم ما يزال غالباً عليه، ومما روي عن الرسول الكريم ﷺ في هذا المجال أيضاً قوله: "إذا أوى أحدكم إلى فِرَاشِهِ فَلْيَنْقُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلْفَهُ عَلَيْهِ"، وهو تحذير لمنع الإنسان من الإصابة بأذى محقق لو خبأ بفراشه حشرة أو عقرباً أو غيرها، فكان هذا الإجراء أحد أهم أسس السلامة العامة لكل من يريد النوم، ولا سيما في البيوت القديمة والمتروكة وخيام المعسكرات وسواها.

#### مصادر المقال ومراجعته

- (1) القرآن الكريم
- (2) البخاري، صحيح البخاري.
- (3) الحميدي، الجمع بين الصحيحين.
- (4) الهندي، كنز العمال.
- (5) الطبراني، المعجم الأوسط..
- (6) ابن حجر، مجمع الزوائد.
- (7) مجموعة مؤلفين، السلامة المهنية.
- (8) أبو داود، سنن أبو داود.

